

النزاع في شرق السودان (1984 - 2006) (دراسة تحليلية)

باحث - جامعة أفريقيا العالمية

أ.مهاد بشير عمر أحمد

المستخلص:

تكمن مشكلة الدراسة في محاولة معرفة اهم الأسباب التي أدت للنزاع في شرق السودان حيث كان للنزاع الذي دار في شرق السودان ابعاد سياسية واقتصادية وإجتماعية واثّر ذلك النزاع على الكثير من مناحي الحياة في الإقليم الشرقي، إستعرضت الدراسة لمحة عن تاريخ نشوب ذلك النزاع ، واهم مسبباته ، وبعض الجهود التي بذلت لإحلال السلام في الإقليم الشرقي، واهم ملامح اتفاقية سلام شرق السودان التي وقع عليها اطراف النزاع من اهداف هذه الدراسة إلقاء الضوء علأسباب النزاع المسلح في شرق السودان والجهود التي بذلت لإحلال السلام وتوقيع اتفاقية سلام الشرق والقاء الضوء على اهم ملامح اتفاقية سلام الشرق. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي للتعرف على أسباب النزاع وديناميكيته وصولا لإحلال السلام في شرق السودان بتوقيع اتفاقية سلام الشرق.توصلت الدراسة الى نتائج أهمها ان السبب الأول لنشوب النزاع في شرق السودان كان بسبب القصور في التنمية والخدمات الأساسية. الكلمات مفتاحية: شرق السودان، النزاع، مؤتمر البجا، جبهة الشرق ،

The conflict in eastern Sudan 1984- 2006 AD (an analytical study)

Mihad Basheer Omer Ahmed

Abstract:

The problem of the study lies in trying to find out the most important causes that led to the conflict in eastern Sudan, where the conflict that took place in eastern Sudan had political, economic and social dimensions and the impact of that conflict on many aspects of life in the eastern region. And some of the efforts made to bring peace to the eastern region, and the most important features of the Eastern Sudan Peace Agreement signed by the parties to the conflict. The objectives of this study are to shed light on the causes of the armed conflict in eastern Sudan and the efforts that have gone into establishing peace and signing the East Peace Agreement and shedding light on the most important features of the East Peace Agreement. The study followed the descriptive, analytical and historical approach to identify the causes and dynamics of the conflict in order to bring peace to eastern Sudan by signing the East Peace Agreement. The study reached the most important results, the most important of which is that the first reason for the outbreak of the conflict in eastern Sudan was due to the lack of development and basic services.

Keywords: - Eastern Sudan- Conflict -- Beja conference- Eastern front

مشكلة البحث:

اشتعل النزاع المسلح في شرق السودان لفترة من الزمن ، والجدير بالذكر ان النزاع في شرق السودان لم يكن كالنزاع الذي دار في جنوب السودان حيث اتسم النزاع في جنوب السودان بمساعي انفصالية لتكوين دولة منفصلة، الا ان النزاع في شرق السودان كانت تحركه مطالب اهل الشرق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن هنا ينتج السؤال التالي: ماهي اهم الأسباب التي أدت للنزاع في شرق السودان

فروض البحث:

- القصور في التنمية وتدهور الخدمات الاساسية اهم الأسباب التي أدت للنزاع في شرق السودان.
- أدت العزلة السياسية لبنا الإقليم الشرقي الى نشوب النزاع في شرق السودان

الهدف من الدراسة:

- القاء الضوء على اسباب النزاع المسلح في شرق السودان والجهود التي بذلت لإحلال السلام وتوقيع اتفاقيه سلام الشرق.
- القاء الضوء على اهم ملامح اتفاقية سلام الشرق.

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي للتعرف على اسباب النزاع وديناميكيته وصولا لإحلال في شرق السودان بتوقيع اتفاقية سلام الشرق.

مقدمة:

عانى شرق السودان على مر العقود السابقة من عدد من المشكلات التي يمكن اجمالها بانها اجتماعية واقتصادية وسياسية، وادت تلك المشكلات الى نشوب النزاع المسلح في شرق السودان، وبدأت بوادر النزاع المسلح في الإقليم الشرقي منذ فترة ما بعد الاستقلال، وقاد النزاع المسلح جماعة من أبناء الشرق عبر تنظيمهم السياسي الذي عرف بمؤتمر البجاء والذي تأسس في العام 1957م ، وقد كان اول حزب إقليمي في السودان، وقد ناضل حزب مؤتمر البجاء من اجل إزالة مظالم اهل الشرق وتنمية الإقليم واستمر في نضاله هذا فترة من العقود، وخاض عدد من المعارك ضد حكومة السودان المركزية وقد كان مؤتمر البجاء يرى ان الحكومة المركزية في الخرطوم قد كرسست الوضع القائم في الإقليم الشرقي ولم تبدى حسن النوايا في إزالة مظالم اهل الشرق، واستمر ذلك الوضع عبر الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان منذ فترة ما بعد الاستقلال، في مارس 2006 انضم تنظيم الأسود الحرة لمؤتمر البجاء وتنظيم الأسود الحرة تنظيم سياسي يمثل أبناء الرشيدة بشرق السودان وكون الحزبان ما يعرف بجهة الشرق والتي جلست للتفاوض مع حكومة السودان لإنهاء الحرب في شرق السودان وبالفعل تم التوقيع على اتفاق سلام الشرق في العام 2006 .

تاريخ نشوب النزاع في شرق السودان وأسبابه:

شرق السودان يشير إلى الحيز الذي يكون المربع الشمالي الشرقي على خريطة السودان وتحده ثلاثة دول هي مصر من الشمال وأريتريا من الشرق وأثيوبيا من الجنوب الشرقي. وبهذا الإقليم يوجد شريط ساحلي على البحر الأحمر طوله 800 كلم وخلفة المملكة العربية السعودية⁽¹⁾. ويضم شرق السودان حسب التقسيم الإداري المرسوم العاشر لرئيس جمهورية السودان لسنة 1944م ثلاثة ولايات هي البحر الأحمر وكسلا والقضارف⁽²⁾. وبعد شرق السودان من المناطق المتنوعة سكانيا وثقافيا لجوارها البحر الأحمر الذي كان معبر للهجرات من والى أفريقيا سواء كانت هجرات عربية إلى الداخل الأفريقي أو هجرة إفريقية للجزيرة العربية. باعتباره كان يمثل نقطة الوصل وطريق الحج لإفريقيا⁽²⁾.

تبلغ مساحة السودان الشرقي ما يقرب 110.000 ميلا في هذه النقطة تسكن قبائل البجاء المختلفة منذ آلاف السنين⁽³⁾. ويبلغ عدد سكان ولايات شرق السودان الثلاث حوالي 3.7 مليون نسمة⁽⁴⁾. واغلبهم من البجاء التي تعتبر اكبر مجموعة يتكون البجاء من عدد من المجموعات هي البشاريين ، الأمرار ، والهندودة وهناك جدل حول انضمام حول قبيلة النبي عامر التي تسكن المنطقة حول البجاء⁽⁵⁾ ومن الرشيدة من احدى المجموعات السكانية التي تكون سكان شرق السودان وهي من قبيلة هاجرت من الخليج العربي إلى السودان في منتصف القرن التاسع. ومن الأسباب التي ساعدت على دخول العرب شرق السودان هي الطبيعة التي تميز شرق السودان فهي منطقة شبه صحراوية تشابه في مناخها إلى حد كبير بلاد العرب⁽⁶⁾. ويحترف شرق السودان بشكل أساسي الرعي والزراعة ثم تأتي التجارة في المرتبة الثانية بالإضافة إلى بعض الصناعات اليدوية. وغالبية سكان شرق السودان مسلمون، فقد كان لهجرات العرب إلى الشرق اثر عظيم

في انتشار الدين الإسلامي بين المجموعات البجاوية. كما أن نسبة كبيرة من أبناء المنطقة لهم ولاء للحزب الاتحادي الديمقراطي.

ينظم حياة البجاء قانون عرفي يسمى سالف وهو عبارة عن القوانين والقيم التقليدية التي تنظم الوصول للموارد وتوزيعها (كالمراعي، المياه، الأراضي الزراعية) والمعاملات الاجتماعية وحل النزاعات¹. وعادة ما يرتبط النزاع بملكية الأرض واستخدامها فالأرض عامل رئيسي للصراع القبلي وينقسم النزاع الداخلي إلى نزاع بين قبائل البجاء ونزاع بين قبائل أخرى، والى النزاع بين قبائل البجاء، ونزاع بين داخل القبيلة بين المجموعات تنتمي إلى نفس القبيلة أي أن هناك نزاع آخر دار بين شرق السودان وحكومة السودان المركزية بدأ يزداد ذلك النزاع منذ الاستعمار عندما كان البجاء يعانون من السياسات الاستعمارية التي أدت للتدهور الاقتصادي والاجتماعي حيث تم توسيع المخططات الزراعية لزراعة القطن من قبل البريطانيين (منطقة البحر الأحمر، دلتا القاش وطوكر) إلى حرمان البجاء من المراعي في فترات الجفاف فتراجع اقتصادهم الرعوي وكذلك أدى بناء السدود إلى تقليص كمية المياه في منطقة البجاء، وهناك عامل آخر ساهم في تقليل سبل العيش حيث فرض البريطانيون نظام الإدارة الأهلية على البجاء وكان نظام لا يعكس الهيكل الداخلي للمجموعة ولم يأخذ في الاعتبار أن قيادة البجاء تم تكيفها مع ديناميكيات الحياة الرعوية على مدى السنوات ولم تكن تلك النخب الجديدة تدافع عن مصالح واحتياجات البجاء الحقيقية واستمرت تلك النخب حتى بداية الثمانينات عند حدوث موجة الجفاف في 1985م حيث فشلوا في تعبئة الحكومة المركزية والمانيين الدوليين والمنظمات لتقديم الدعم في الوقت المناسب لتجنب الخسائر في الأرواح البشرية والماشية وعندها عزم مؤتمر البجاء على الإطاحة بهم وقد كان مؤتمر البجاء أول حزب إقليمي أسسه الدكتور طه عثمان بليلة ومحمد احمد النيل في العام 1958م بعد استقلال السودان وسودنة الوظائف ومنذ ذلك التاريخ كان مؤتمر البجاء مناهضا للظلم والتهميش في شرق السودان وهو يضم مجموعة من أبناء البجاء المثقفين وفي العام 1960م تم حظر مؤتمر البجاء من الأحزاب السياسية من قبل المجلس الأعلى للقوات المسلحة وبعد عودة الحكم المدني اثر سقوط حكومة عبود عاد مؤتمر البجاء مرة أخرى في عام 1964م وشارك في انتخابات عام 1965م وفاز بعدد 11 مقعد في الجمعية التأسيسية إلا انه تم حظره خلال حكم الرئيس جعفر نميري من (1965 - 1984) إلا انه عاد إلى الساحة السياسية بعد الانتفاضة الشعبية التي أطاحت بحكم نميري في عام 1965م وبعد أزمة منتصف الثمانينات جدد مؤتمر البجاء جهوده للاهتمام بقضية التهميش والتخلف في شرق السودان. وفي العام 1984م أطيح بالحكومة الائتلافية وتولى الحكم البشير وتم حظر مؤتمر البجاء مرة أخرى وفي نفس العام تم تأسيس التجمع الوطني الديمقراطي (National Alliance) وهو مجموعة الأحزاب السياسية المعارضة بالإضافة إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان (Sudan People Subration) (SPLM) Movement) والتي أصبحت تمثل الجناح العسكري للتجمع، وكان مؤتمر البجاء احد الأحزاب السياسية التي انضمت إلى التجمع وتعمل تحت مظلتها. وفي العام 1996م اتهم مؤتمر البجاء بمحاولة انقلابية فاشلة الأمر الذي أدى إلى أن يشتد النزاع بين جزء من قوى التجمع ككل والحكومة المركزية واحتل التجمع جزء من منطقتي تلوك وهمشكوريب.

شن الجيش الإريتري والجيش الشعبي لتحرير السودان سلسلة من الهجمات على طول الحدود السودانية الإترية وركزت الهجمات على المناطق الاستراتيجية مثل ميناء بورتسودان وخطوط أنابيب

البترو. ولم يكن للتجمع الوطني الديمقراطي ومؤتمر البغاء قوات عسكرية كبيرة فكانت تقوم بعمليات لا تتعدى كونها عمليات كر وفر على طول الحدود ولم تكن تشكل تحدياً للحكومة بشكل جدي، فقد كان يعاونهم الجيش الأريتيري والجيش الشعبي لتحرير السودان، واعتمد مؤتمر البغاء والأسود الحرة على الأسلحة الصغيرة وكانت الأسلحة القوية مثل الدبابات حصرياً في يد الجيش الأريتيري والجيش الشعبي لتحرير السودان.

حقق التجمع الوطني الديمقراطي بما في ذلك مؤتمر البغاء عدداً من الانتصارات العسكرية التي يجب أن يعزى ذلك إلى مشاركة الجيش الشعبي لتحرير السودان، ففي 19 مارس 2000م شنت قوات المعارضة على همشكوريب ومناطق أخرى في ولاية كسلا. وفي 8 نوفمبر من نفس العام أعلن التجمع سيطرته على مدينة كسلا في هجوم مباغت وقال الناطق الرسمي باسم جيش تحرير السودان أن قواتهم (التجمع) استولت على سبع حاميات محيطة بالمدينة وهي شلتوت، جبل موسى، جبل طارق إضافة إلى مركز قيادة اللواء السادس وهي الحامية الرئيسية بالمدينة. وفي 27 أكتوبر 2000م أعلنت الحكومة السودانية استعادة همشكوريب التي احتلت لمدة 8 أشهر

احتل التحالف محافظة همشكوريب مرة أخرى في أكتوبر 2002م وظل فيها حتى انسحاب الجيش الشعبي لتحرير السودان بموجب شروط اتفاق السلام الشامل في 2005م واستولت القوات المسلحة السودانية (Sudan Armed Forces) (SAF) على المنطقة. وفي أواخر يناير 2005م قام عدد كبير من أبناء البغاء بتظاهرة في بورتسودان احتجاجاً على إقصاء عن السلام إلا أن الشرطة تصدت للمظاهرات وقتل العديد من أبناء البغاء وجرح 96 إلا أن ردة فعل الشرطة كان مخيباً لأمل أبناء الشرق الذين كانوا يحاولون لفت الانتباه إلى مشاكلهم وان يؤكدوا على أن مطالبهم لا تقل أهمية عن مطالب أبناء الجنوب.

أسباب النزاع في شرق السودان

كما هو الحال في النزاعات الأخرى في السودان لا يوجد سبب جذري واحد للنزاع في شرق السودان فهناك مجموعة من العوامل المترابطة التي قادت إلى الحرب كالمظالم التاريخية (Historical Grievances) والشعور بالإقصاء (Feeling Of Excision) والتهميش (Marginalization) والمطالبة بالعدالة (Demand For Fair) والتوزيع غير العادل للموارد والفوائد (Resource and Benefits) وعدم وجود ديمقراطية حقيقية (The absence of genuine democratic) كلها عوامل متشابكة للصراع.

وفيما يلي أهم الأسباب التي أدت إلى النزاع في شرق السودان

1- أسباب اقتصادية :

من الأسباب المؤدية إلى النزاع بمنطقة شرق السودان هي التدهور الاقتصادي الذي عانى منه الإقليم رغم من أن الإقليم غني بثرواته فمنطقة الشرق تمتاز بخصوبة أراضيها وصلاحياتها للزراعة وتوجد بها ثروات داخل أراضيها كالنفط الذي لي يستخرج بعد وكذلك الذهب والغاز والجرانيت والثروة الحيوانية والسمكية وقد ساهم التخلف الاقتصادي لمنطقة شرق السودان الظروف التي كانت تمر بها البلاد بسبب حرب الجنوب التي اندلعت في العام 1965م والتي استنزفت الكثير من الموارد المالية.

كذلك تأثر الاقتصاد بالشرق بعوامل أخرى كالمجاعة التي حدثت في 1984 - 1985 والتي أدت إلى تدمير الاقتصاد الرعوي وكذلك عانى البغاء من الاضطراب بسبب التهجير القسري نتيجة إنشاء السد العالي

فانتقل البجاء إلى مناطق غرب كسلا ما قلص مساحة أراضي البجاء فتأثر نشاط البجاء الرعوي والزراعي وكذلك أدت الحرب في أريتريا والتي بدأت في العام 1961م واستمرت 30 عاما إلى تدفق اللاجئين عبر الحدود إلى منطقة شرق السودان وكذلك أدت الحرب التي اندلعت بين أريتريا وأثيوبيا في العام 1998 إلى تدفق اللاجئين عبر الحدود مرة أخرى إلى ارض الشرق مما أدى إلى فرض أعباء على بيئة مادية هشة. وقد ورد في مذكرة مؤتمر البجاء في العام 1958م أن الإقليم يعاني من ظلم اقتصادي وان أبناء المنطقة لم يحظوا بوظائف فقد عانى أبناء الإقليم من البطالة وانخفاض معدل دخل الفرد هذا وقد كان عدم التقسيم العادل للثروة هو احد اهم الأسباب الرئيسية لتكوين حزب مؤتمر البجاء.

وساهم الوضع الاقتصادي في الإقليم إلى أن يحترف سكان الإقليم حرف بسيطة فالسكان في الجزء الشمالي من الإقليم يحترفون الرعي بالدرجة الأولى والزراعة الموسمية فالثروة الحيوانية تمثل مصدر الدخل الأول لغالبية السكان فمنها غذائهم (الألبان ومشتقاتها واللحوم) بجانب ذلك الاستفادة من المخلفات الجلدية والصوفية والوبرية. أما السكان ف جنوب الإقليم (البنى عامر) اهم منشط اقتصادي لديهم هو تجارة الحدود والرعي والقليل من الزراعة المطرية وبعض الحرف اليدوية مما أدى أن يعاني سكان الشرق من الفقر المدقع فولاية البحر الأحمر هي الأكثر معاناه تليها كسلا ثم القضارف. ووفقا لمسح منزلي أجراه برنامج الغذاء العالمي (WFP) (World Food Programmer) في العام 2004م فان نصيب الفرد من الدخل في ولاية البحر الأحمر 93 دولارا أمريكيا فقط في العام لذلك نجد أن النخب السياسية وأبناء الإقليم المستنيرين اهتموا بضرورة تحسين الوضع الاقتصادي في الإقليم ف منذ العام 1958م كانت توصيات مؤتمر البجاء تشير إلى ضرورة استغلال الثروة المعدنية في الإقليم وربطه بشبكة مواصلات مع أنحاء الولايات الأخرى وإقامة خزانات وسدود على الخيران الموجودة في المنطقة وحفر الآبار الارتوازية لدعم وتنشيط الزراعة الا ان الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان كانت مخيبة لآمال وطموحات أبناء الشرق الأمر الذي أودى إلى حملهم السلاح ضد الحكومة المركزية للدولة

2- أسباب سياسية :

كان عدم التوزيع العادل للسلطة⁽⁷⁾ احد اهم مسببات النزاع في شرق السودان ف منذ استقلال السودان وسودنة الوظائف لم يحظى ابنا الإقليم بوظائف مرموقة وموضع اتخاذ قرار وظل هذا الإقصاء السياسي لابنا الإقليم على مر الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان ولذلك يمكننا القول الأمر الذي شحن مشاعر الغبن لدى الشرق بالسبب ورا مشكلات شرق السودان هو إخفاق النخ على مدار عقود من الزمان في التوصل إلى إجماع وطني بشأن كيفية التي يجب من خلالها حكم البلاد وبناء دولة سليمة تضم الأطياف كافة. كما أن سياسة فرق تسد (Divide and Rule) التي توارثتها الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان كان لها دور في الإقصاء السياسي (Political Exclusion) لأبناء شرق السودان.

وادى الإقصاء السياسي لأبناء شرق السودان أن يتحد مؤتمر البجا مع حركة الأسود الحرة إلى تتكون من قبيلة الرشايدة لتكوين ما يسمى بجبهة الشرق والتي كان من اهم أهدافها الحق في تقرير المصير والحكم الفدرالي الكامل الذي يمكن أبناء الإقليم من إدارة شونهم وتنمية وتطوير إقليمهم وفق أولويات تحددتها احتياجاتهم مع ضمان النصيب العادل في السلطات التشريعية والتنفيذية على مستوى المركز على

أن يكون المعيار لتقسيم السلطة والثروة هو نسبة الكثافة السكانية لكل إقليم وان يضمن ذلك دستور دائم يشارك به الجميع. وكانت تلك الأهداف بمثابة مطالب سعى أبناء الشرق لتحقيقها بحمل السلاح إلا أن تم التوقيع على اتفاق سلام الشرق الذي كان بمثابة بارقة الأمل لأبناء الإقليم لتحقيق مطالبهم وكان الاتفاق يكد على ضرورة اشتراك أبناء الإقليم في حكم البلاد

3- أسباب اجتماعية وثقافية **Social and Cultural Reasons**:

يتميز شرق السودان بخصوصية الحراك الاجتماعي والثقافي الداخلي ويظهر ذلك في التنوع التعدد الثقافي بين مجموعاته البشرية حيث تعيش في شرق السودان جماعات سكانية عربية وأخرى غير عربية ولهم عادات خاصة بهم ولهجات يتخاطبون بها وتعتبر جماعات لها ارث ثقافي ثر إلا أن ذلك التنوع الثقافي الاهتمام من اللازم من الدولة والعمل علة تتواصل تلك الجماعات السكانية التي تقطن شرق السودان مع جماعات أخرى في البلاد حتى تعكس ارثها الثقافي والاجتماعي الأمر الذي يعيش في حالة من العزلة الاجتماعية⁽⁸⁾ تحول دون التعريف بهويته.

الجدير بالذكر أن النزاع في شرق السودان لم يكن قائماً على أساس قبلي أو عرقي إنما كان من اجل إزالة الفوارق الاجتماعية والثقافية وإزالة التهميش (Marginalization) الذي يعاني منه أبناء المنطقة الأمر الذي دفع أبناء الإقليم لتشكيل قوة ضغط على الحكومة المركزية حتى تعمل على رفع الظلم إلا انهم لم يجدوا يجدو الاستجابة التي يتطلعون إليها الأمر الذي أدى إلى الحرب في شرق السودان

4- أسباب تنموية:

يتسم الإقليم الشرق للسودان بتدهور ملحوظ في البنية التحتية ونقص الخدمات الأساسية كالتعلم والصحة والمياه وغيرها من الخدمات الهامة حيث يرتفع معدل الأمية (Illiteracy Rate) بسبب عدم اهتمام الدولة بالتعليم الأساسي وإنشاء المدارس أو فصول محو الأمية كذلك يعاني الإقليم من التديني في مستويات الصحة وترتفع معدلات وفيات الأمهات والأطفال الرضع (Maternal and infant Mortality Rates) وكذلك تنتشر بعض الأمراض كالسل الرئوي (Pulmonary Tuberculosis) وسوء التغذية (Malnutrition) كما يعاني سكان الإقليم من انعدام الأمن الغذائي (Food Security) وقلة فرص العمل فهم يعتمدون بشكل أكبر على الرعي والزراعة التقليدية والتي لم تدخل فيها تقنيات حديثة لدفع الإنتاج وعض الصناعات اليدوية وادت تلك الأوضاع إلى تكريس مظاهر التخلف في الإقليم وانتشار الثالث المدمر الجهل والفقر والمرض الأمر الذي جعل نخبة من المثقفين من أبناء المنطقة أن يناهضوا ذلك الوضع المتروكي واستمروا في مسيرتهم التي بدأت عقب استقلال السودان عبر تنظيم متمر البجا ثم انضم أبناء الرشايدة إلى عبر تنظيم الأسود الحرة ليطالبوا بنفس الحقوق التي ينشدها إخوانهم من أبناء البجا لكونهم يعيشوا تحت وطأة الظروف القاسية على ارض واحدة لذا توحدت جهودهم عبر تنظيم جبهة الشرق وعملوا جاهدين للمطالبة بنصبيهم من التنمية.

أسباب جيوسياسية :

من الأسباب المؤدية إلى الصراع المسلح في شرق السودان أسباب لا دخل للسودان فيها منازعة من دول الجوار السوداني ودول أخرى تقف من ورائها وتساعدوا بالتحريض والعون بالسلاح لمعاداة السودان وابرز تلك الدول إريتريا وإثيوبيا وإسرائيل وأمريكا وعملت تلك الدول على استغلال الفصائل المضطهدة من

موقع عسكري لهم في المنطقة هذا لما تمتاز به المنطقة من موقع ممتاز حيث يعتبر الشرق بوابة السودان على العالم لتوفر موانئ بحرية بالمنطقة غنية بمواردها بالمنطقة كما أن منطقة شرق السودان منطقة غنية بمواردها والتي لم يتم استغلالها بعد الأمر الذي جعلها تدرج تحت قائمة الاستعمار الجديد من قبل الدول العظمى والمعروف أن تلك الدول لها أطماع في منطقة إفريقيا بصورة عامة فهي تسعى للحصول على موطن قدم في تلك المناطق التي لم تستغل مواردها كالمعادن والنفط وغيرها وتعمل على أن تستغل تلك الموارد لضمان رفاهية أجيالها القادمة وكذلك مطامع إسرائيلية معروفة من قبل إسرائيل في مياه نهر النيل الأمر الذي جعل النزاع في شرق السودان يخدم مصالح إسرائيل وحلفائها

شهد الإقليم الشرقي منذ ستينات القرن الماضي تواجد كشف للحركات الإيريترية المسلحة والتي تعارض نظام الحكم الأريتيري الأمر الذي أدى إلى انتشار السلاح في المنطقة عبر العصابات الأمر الذي كان في صالح الجماعات المسلحة السودانية بتوفير السلاح وفي نفس الوقت تشهد الإقليم تواجد مكثف للمخابرات الإيريترية التي تلاحق المعارضين للنظام الأريتيري فاستغلت المجموعات المسلحة السودانية الوضع وقدمت الدعم للنظام الأريتيري بتقديم الخدمات الاستخباراتية وهذا وقد جعلت قيادات الجماعات المسلحة في شرق أريتريا مقراً لها وهذا وقت دعمت أريتريا أبناء الشرق بالمدفعة والنيران الثقيلة في معاركهم مع الحكومة مع حكومة السودان والجدير بالذكر أن الدعم الأريتيري كان بمساعدة كل من أمريكا وإسرائيل وجود عسكري عبر وجود أكثر من قاعدة فقد كان لإسرائيل وجود عسكري عبر وجود أكثر من قاعدة حربية لها داخل أراضيها وكذلك كانت أمريكا ترتبط مع أريتريا بعدد الاتفاقيات العسكرية والسياسية والأمنية.

لهذا فإن دولة أريتريا متهمه بالتواطؤ في تأجيج النزاع في شرق السودان ويمكننا القول أن جغرافية ارض الشرق كانت داعمة للنزاع في المنطقة حيث كانت طبيعة المنطقة الجبلية تساعد على العمليات العسكرية مثل الكر والفر وكذلك ساهمت العرقية الممتدة عبر حدود دول الجوار داعماً آخر للنزاع فقد تلقت المجموعات المسلحة السودانية الدعم والتدريب من قبل تلك الدول المجاورة

اتفاقية سلام الشرق والجهود التي بذلت لإحلال السلام:

كانت هناك بعض المبادرات تسعى إلى توقف الصراع الدائر في شرق السودان وكانت هناك مبادرة من الإيقاد لوقف الأعمال العدائية في كل السودان بما في ذلك شرق السودان ووافق التجمع الديمقراطي بما في ذلك مؤتمر البجاء تحسباً إلى أنه سيتم أدججه ضمن المفاوضات التي تجريها مع الحركة الشعبية لتحرير السودان والنظر إلى مشكلة الشرق وتحقيق السلام وكذلك دعي الميرغني رئيس التجمع الوطني لإيجاد حل مع الحكومة في الخرطوم، ويرى المراقبين والمحللين السياسيين أن مشكلة السودان التي أدت إلى اشتعال الحرب وفي عدة مناطق تتمثل في تمركز السلطة والثروة في المركز على حساب الأقاليم لذلك دعوا إلى تحقيق سلام في ظل مفاوضات السلام لحل مشكلة جنوب السودان، وتم توقيع اتفاق مشاكوس الإطار بين الحركة الشعبية لتحرير السودان والحكومة في الخرطوم في يونيو 2002م.

في ظل دعوة الميرغني التي كانت تدعو للسلام مع الحكومة تم توقيع اتفاق إطاري لأجراء مفاوضات بين التجمع الوطني الديمقراطي وحزب المؤتمر الوطني في جدة يونيو 2003م⁽⁹⁾. وقد كان من المتوقع أن مفاوضات الإيقاد كانت تمهد لانفصال الجنوب عن الشمال، فعمل حزب المؤتمر الوطني إطفاء الشرعية على

مكانته في الشمال لذلك سعى لأفناع الحزب الاتحادي الديمقراطي بالمشاركة في الحكم وعمل على أن يقبلوا بالمناصب الهامشية في الحكومة المؤقتة، واقتنع مؤتمر البجاء لألقا السلاح، وحقق المؤتمر الوطني بعض النجاح فقام بأقناع قادة مؤتمر البجاء بالعودة إلى الخرطوم، فعاد كل من الأمين العام لمؤتمر البجاء عمر طاهر من السمرا والدكتور محمد شريف ممثل البجاء من لندن في ديسمبر 2003م، وكان عودتهم مقابل وعود بمساعدات إغاثية لشعوبهم وإغراءات مادية لأنفسهم، واستمر المؤتمر الوطني للوصول إلى قادة البجاء وإقناعهم بالعودة إلى الوطن مع تجديد الالتزام بمعالجة مظالم أهل الشرق. فعاد إلى الخرطوم عثمان بوانين (Bawanen) لتأسيس مؤتمر البجاء الإصلاح والتنمية في ديسمبر 2004م وكانت تسعى الحكومة إلى أن يحل الحزب الجديد ألا أن ذلك لم ينجح لأن (Bawanen) لأنه كان يفتقر للاتباع⁰. ومع تحركات الحكومة في الخرطوم لأغراء قادة البجاء، عمل مؤتمر البجاء لأثبات وجوده وأنه على قيد الحياة فشكل تحالف مع متمرد دارفور في يناير 2004⁽¹⁰⁾. وكان مؤتمر البجاء يعمل على إيجاد حلول وبدائل مبكرة في حال إتمام اتفاق السلام مع الحكومة.

تم تسليط على ضرورة الوصول إلى حل للنزاع في شرق السودان من عدة جهات فاعلة، وشجع على ذلك الاستعداد المعلن من الحكومة للتفاوض، فجرت محاولات أولية في مطلع عام 2005م من قبل المنظمة البريطانية (Concordis international). وهي منظمة غير حكومية، لإجراء محادثات بين الحكومة واهل الشرق، وفي يونيو 2005 عرض الممثل الخاص للأمم المتحدة (Jan pronk) مساعيه الحميدة على اطرق النزاع إلى أن تلك المبادرات لم تأتي بنتيجة ملموسة.

بادرت ليبيا لتوسط لحل الازم والنزاع في شرق السودان وفي أواخر 2005م قبلا الأطراف العرض الذي قدمته الحكومة الليبية يفتح منتدى بين حكومة السودان وجبهة الشرق⁽¹¹⁾ إلا أنه سرعان ما تم رفض الوساطة الليبية، فلم يكن مؤتمر البجاء بثق في ليبيا كوسيط.

انسحب مؤتمر البجاء من المفاوضات القاهرة منذ أكتوبر 2004م وكانت تلك المفاوضات إكهالاً لاتفاق جدة الإطاري الذي تم التوقيع عليه في 2003م إلا أن مؤتمر البجاء لم يكمل مسيرة المفاوضات ولم يحضر لتوقيع اتفاق القاهرة يونيو 2005م الذي يتم توقيعه بين حكومة الوحدة الوطنية والتجمع الوطني الديمقراطي، وذلك لأن مؤتمر البجاء لم يكن راضي عن الدور القيادي للحزب الاتحادي الديمقراطي فيما يخص شرق السودان، وطالبوا بحل إقليمي لمشكلة شرق السودان وأن يكونوا ممثلين رسميين عن التجمع الوطني الديمقراطي فاعرض رئيس التجمع مولانا محمد عثمان الميرغني مدعياً أن الحزب الاتحادي الديمقراطي هو الممثل الوحيد لأهل شرق السودان⁽¹²⁾ وكان مؤتمر البجاء قد اصدر بيان يوضح فيه موقفه الراض لاتفاق القاهرة وذلك أن غير ملزم له ولا ممثل له.

دعت دولة إريتريا والتي كان لها دور أساسي في توقيع اتفاق السلام فيما بعد كل من مؤتمر البجاء والأسود الحرة لتوحيد قبل بدء المفاوضات مع الحكومة بدمج قضاياهم في كيان واحد⁽¹³⁾ وكان بالفعل قد تشارور كل من المؤتمر البجاء والأسود الحرة في مثل. ذلك الأمر من قبل، وفي 27 مارس 2005م أعلن بمدينة ربة الإرتيرية عن تكوين جبهة الشرق من خلال تحالف بين تنظيم الأسود الحرة بسمته القبلية ومؤتمر البجاء بجناحيه إذا أن مؤتمر البجاء لديه جناح مسلح يعتمد على العمل العسكري منذ العام 1994، وأخر

يعمل بالداخل من خلال إخطار مسجل التنظيمات. انتهج تنظيم جبهة الشرق هيكلاً تنظيمياً واحداً وبرنامج سياسي موحد وقالوا أنهم مستعدون للتفاوض إذا كانت الحكومة جادة، لكنها ستستمر في التحضير للحرب⁽¹³⁾. وفي إطار مساعي الحكومة وإعلانها باستعدادها للتفاوض قامت بمحاولات لتحقيق حدة التواتر في شرق السودان من خلال ترسيها لمبادرة، حملة توظيف خريجي البجاء، ومشروعات المياه والكهرباء، إلا أن جهود الحكومة لم تقابل بحماس من قبل قادة وشباب البجاء، وأكدوا على ضرورة قيام الحكومة بفتح حوار مع الضمانات في المنطقة، وكان المؤتمر الوطني يدرك أهمية منطقة الشرق السودان بموقعها الحيوي والاستراتيجي لوجود الموانئ البحرية فهي بوابة السودان نحو العالم ولذلك كان يسعى لتسوية أزمة الشرق وكما كان هنالك دافع آخر وهو تجزئته التجمع الوطني الديمقراطي من خلال اتفاقيات منفصلة للفصائل الستة⁽¹⁴⁾.

كانت العلاقات السودانية الإريترية متوترة وشبه مقطوعة حتى مطلع يناير 2006م، الأمر الذي كل من ياسر عرفان ومولانا أحمد هارون يتقدمان باقتراح الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل مستشار رئيس الجمهورية وطرحوا عليه أن يسافر علي عثمان محمد طه النائب الأول لرئيس الجمهورية للمشاركة في احتفالات عيد استقلال أريتريا وبالفعل شارك كل من النائب الأول لرئيس الجمهورية ود/مصطفى عثمان إسماعيل إلى أريتريا، وكان زيارة مستمرة، وتوقفت بعدها العدائيات⁽¹⁵⁾. وتوصل الزيارات، فيما بعدما أدى إلى إصلاح الجسور وعودة العلاقات بين البلدين.

ثم اقتراح كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة كوسطاء للمفاوضات ولكن تم رفضهم، وتم اقتراح توافق المؤتمر الوطني بجبهة الشرق، وقد كان الرأي السائد في الخرطوم بأن جبهة الشرق كانت تحت سيطرة الارتين وبالتالي لا يمكن التوصل إلى اتفاق دون موافقتها⁽¹⁶⁾ كما أن أريتريا كانت شريكا اقتصاديا لشرق السودان، وهنالك عرقية ممدمة بين الحدود بين البلدين، وكان النظام الإريترى حليفاً وثيقاً مؤتمر البجاء ومن ثم جبهة الشرق. وقد كان للمفاوضات التي أجرتها الحركة الشعبية مع الحكومة السودانية دور في التعجيل بالجلوس لتفاوض وتسوية مشكلة شرق السودان فقد كان يرتب على اتفاق السلام لتسوية النزاع في جنوب السودان أن تفقد جبهة الشرق حليفها العسكري وكان يتوجب على الجيش الشعبي لتحرير السودان سحب قواته من منطقة الشرق، وقد كانت تسعى الحكومة في الخرطوم تفكيك التجمع الوطني الديمقراطي الذي كان يمثل المعارضة للحكومة السودانية وقد تم تكون التجمع الوطني الديمقراطي في الأساس لمناهضة حكم البشير بعد انقلاب 1989م وكان ذلك دافعا للجلوس على طاولة المفاوضات لتسوية مشكلة الشرق، وجلس الطرفان لتفاوض في يونيو 2006م بواسطة دولة إريتريا وكان السيد بماني قيراب رئيساً لفريق الوساطة، ولم يتم قبول إلى مراقب من المجتمع الدولي في المحادثات، وكان برغبة كل من طرفا النزاع في التوصل إلى حل وتسوية النزاع في أن يتم التوصل إلى اتفاق في فترة لم تتجاوز الست أشهر ففي أكتوبر 2006م وقعت جبهة الشرق وحزب المؤتمر الوطني اتفاقية سلام شرق السودان (ESPA) في اسمره وشهد الشرق بعدها استقرار أحسن كبير.

احتوت اتفاقية سلام شرق السودان الموقعة في 14 / أكتوبر 2006 على ستة فصول وستة ملاحق.

وغطت الاتفاقية قضايا الحكم والسياسة والقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والترتيبات الأمنية. وركزت الاتفاقية علي تقاسم السلطة والثروة لاسيما أن اجد مسببات النزاع قد كان عدم التوزيع العادل في المشاركة السياسية لأبناء المنطقة وكذلك الظلم التاريخي بانها لا تتلقي نصيبها من الثروة مما انعكس ذلك سلبا علي أبناء شرق السودان. كما نصت الاتفاقية علي عقد مؤتمر تشاوري بيان اتفاقية سلام الشرق. واهتمت بقضايا المرأة وأنصافها وإشراكها في كافة المستويات وأكدت الاتفاقية علي ضرورة احترام الاختلاف الثقافي واللغوي. واحتوت الاتفاقية علي ترتيبات عامة وست ملاحق تتضمن اطار الأعمار والشخصية، والثقافية لتهيئة المناخ وسبل تنفيذ الاتفاق، واتفاق الأسود الحرة مع الحلو في طرابلس. وبموجب الترتيبات الأمنية تم الاتفاق علي عدم وجود مليشيات أو قوات مسلحة أخرى غير القوات المسلحة السودانية وذلك وفقا لما ورد في نص الاتفاقية في الفصل الثالث إعادة 24 واكد الطرفان على أن لا يكون هنالك أي وجود لمليشيات أو مجموعات مسلحة أخرى في شرق السودان خارج القوات النظامية السودانية⁽¹⁷⁾ وتم الاتفاق بموجب المادة 25 على وقف اطلاق النار والاعتداء على أفراد ومواقع الطرف الآخر والاستيلاء على الممتلكات والمعدات، أو التهديد والاختطاف والإيذاء والنزوح القسري، وكذلك وقف الاعتداء على المؤسسات التنموية والاقتصادية والخدمة أو دعم أو إيواء أي جماعات مسلحة معارضة لعملية السلام، وان يعمل الطرفان على احترام وقف اطلاق النار الشامل واحتواء أي مشكل قد ينشأ والعمل تهيئة العودة الطوعية للنازحين واللاجئين. ونصت المادة 32 على أن يسري وقف اطلاق النار الشامل بعد 72 ساعة من توقيع الاتفاق الشامل. وبعد التوقيع علي اتفاق سلام شرق السودان، بدء مقاتلو جبهة الشرق في الانتقال إلى معسكرات في أروما وضواحي كسلا لبدء

عملية دمجهم في القوات المسلحة السودانية أو التسريع التام عملية نزع السلاح فحدث الاتفاقية فترة اربع اشهر لتسريح قوي المعارضة المسلحة بالكامل ولك حسب ما ورد في فصل الترتيبات الأمنية إلا أن عملية التسريح تجاوزت فترة الأربع اشهر.

نصت الاتفاقية علي إنشاء لجنة عسكرية مشتركة لمراقبة وقف اطلاق النار تتكون من ثلاثة ممثلين لحكومة السودان، وثلاثة ممثلين لجبهة الشرق، وممثل للحكومة الإرتيرية وتمثل مهام اللجنة في الآتي:-

- مراقبة وقف اطلاق النار لحين الانتهاء من عملية دمج قوات جبهة شرق السودان في القوات المسلحة والقوات النظامية الأخرى.
- المساعدة في حل أي أشكال قد ينشأ إنشاء تطبيق الاتفاق تم الاتفاق علي إنشاء لجنة مشتركة لإدماج قوات جبهة الشرق على أن تتولي حكومة السودان عملية الدمج (المادة 27).
- وبعد أسبوع من توقيع اتفاق سلام الشرق دفعت الحكومة حالة الطوارئ في شرق السودان في كل من الولايات الثلاث وتم اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين واسري الحرب وكان ذلك وفقا لما ورد في المادة 35 من الاتفاق.

خصص 60 منصب تشريعي وتنفيذي من مؤسسات الدولة غني مستوي المركز والولايات لأبناء الشرق. وحدد الفصل الذي يتناول موضوع الترتيبات السياسة قيام مجلس تنسيق من 15 عضو لولايات الشرقية الثلاث يتألف من 12 مسؤول ولاية رفيع المستوي جميعهم من حزب المؤتمر الوطني في ذلك

الوقت وثلاثة ممثلين لجبهة الشرق⁽¹⁸⁾. ونصت الاتفاقية على أن تتكون الحكومة الولائية من سلطة تنفيذية، ومجلس تشريعي وجهاز قضائي يعمل تحت القضاء القومي (المادة 16) علي ان تقوم جبهة الشرق بترشيح نواب لكل من كسلا والقضارف وتخصص منصب وزير واحد في ولاية البحر الأحمر فينصب مستشار في كل ولاية من ولايات شرق السودان الثلاثة ترشحهم جبهة الشرق. وتخصص عشرة مقاعد في كل مجلس من المجالس التشريعية لولايات الشرق لمرشحي جبهة الشرق، وثم تشغل رئاسة لجنة واحدة من لجان المجلس التشريعي في كل ولاية من ولايات شرق السودان بواسطة مرشحي جبهة الشرق (المادة 17). أما عن مستوي الحكومة المحلية يكون ثلاثة معتمدين في كل ولاية وخمسة من أعضاء المجلس المحلي في كل محليات الشرق من مرشحي جبهة الشرق (المادة 18).

تم تعيين القيادي مؤتمر البجا موسى محمد احمد مستشارا لرئيس الجمهورية ومن حزب الأسود الحرة ثم تعيين امنه ضرار مستشارا للرئيس، ومبارك سلم رئيس الحزب ووزيرا للدولة للنقل والطرق. وعلي الرغم من التنفيذ للمشاركة السياسية المتفق عليها إلا أن أعضاء حزب مؤتمر البجا ثم يكونوا راضين وان مناصب معاليهم كان ترضي مصالح فردية وحصل حزب مؤتمر البجا علي 18 منصبا فقط من 60 منصب علي الرغم من انهم كانوا النواة السياسية والعسكرية التي تكونت منها جبهة الشرق، وقد ناضلوا من اجل حقوق البجا منذ العام 1958م، إضافة إلى ذلك استمر تجاهل مشاركة أبناء الشرق في الخدمة المدنية ولا يزال تمثيل شرق السودان في الخدمة المدنية هو الأدنى في السودان وبالرغم من ذلك إلا أن اتفاق سلام الشرق كان لا يخلو من كونه فرصة لمعالجة بعض المظالم لأصحاب المصلحة مثل قضايا السلطة والزكاة. وموجب المادة 23 من اتفاقية سلام الشرق تم الاتفاق علي إنشاء صندوق لإعادة بناء وتنمية شرق السودان، وتعهدت الحكومة بتمويل الصندوق ب 600 مليون دولار علي مدي خمس سنوات ابتداء من العام 2007م علي أن يهتم الصندوق بالتنمية الريفية والاجتماعية بما في ذلك الصحة والتعليم والمياه وإعادة إعمار منطقة الشرق وخاصة المتضررين من الحرب وحدد الاتفاق فترة خمس أعوام لإكمال الصندوق لأعماله وإعمار منطقة الشرق إلا انه وبعد مضي 15 عاما لايزال الصندوق قائما ولم يكمل. تنفيذ المشروعات التنموية ولا تزال الخدمات الأساسية مثل المياه الصالحة للشرب والتعليم والصحة تمثل مشكلة رئيسية في شرق السودان علي الرقم من تنفيذ عدد كبير من المشروعات التنموية بالمنطقة، والأمر الذي ساهم في تأخير عمل الصندوق تأخر التعهدات المالية من حكومة السودان وتعهدهات مؤتمر المانحين لإعادة اعمار شرق السودان.

خاتمة:

أدى التهميش السياسي والاقتصادي والتخلف التنموي في الإقليم الشرقي للسودان الى اثاره مشاعر الغبن لأبناء الإقليم وقد أدت تلك المظالم التي تكمن في الاقصاء السياسي عن المشاركة في الحكم لأبناء الشرق وعدم توفير فرص لهم في الخدمة المدنية وعدم اهتمام الدولة بترقية الخدمات الأساسية من صحة وتعليم ومياه... الخ الى اشتعال فتيل الحرب في الإقليم الشرقي عبر مناهضة أبناء الإقليم لذلك الوضع ايمانا منهم بضرورة انصاف أهلهم بإقليم شرق السودان ، واستمر النزاع المسلح بين مؤتمر البجا فترة من الزمن الى العام 2006 بعد جهود الوساطة والمسايعالحميدة من بعض الأطراف أهمها منظمة الإيقاد ودولة ارتريا حتى تم توقيع اطراف النزاع على اتفاق سلام شرق السودان.

النتائج:

- السبب الرئيسي للنزاع في شرق السودان هو القصور في التنمية والخدمات الأساسية.
- أدى الاقصاء السياسي لأبناء الإقليم الشرقي عن الحكم والمشاركة السياسية الى اثاره مشاعر الغبن التي أدت الى تأجيج النزاع في شرق السودان.
- لم يكن النزاع في شرق السودان يحمل مساعي انفصالية كالنزاع الذي دار في شرق السودان.

التوصيات:

- الاهتمام بتنمية الإقليم الشرقي وترقية الخدمات كالصحة والتعليم والمياه وذلك لمعالجة الأسباب الجذرية للنزاع.
- ضرورة تنفيذ اتفاقية سلام الشرق وفق ما نصت عليه ووفق تطلعات اهل شرق السودان.
- ان تنفذ المشروعات التنموية على أسس علمية، وتدريب الكادر العامل بتلك المشروعات على أسس ومعايير المشروعات التنموية.

الهوامش:

- (1) مكي محمد على، عمليات إعمار السودان في ظل اتفاقيات السلام الأكاديمية العسكرية العليا، كلية الدفاع الوطني، دورة 21، ماجستير 2009م.
- (2) كمال الدين يوسف محمد، اثر اللاجئين بشرق السودان على الأمن الوطني، أكاديمية نميري العسكرية، كلية الدفاع الوطني، دورة 3، ماجستير 2019 م.
- (3) عبد الرحمن حسب الله، العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان، المطبعة العسكرية، 2005م.
- (4) محمد صالح ضرار تاريخ شرق السودان، ممالك البجا قبائلها وتاريخها مكتبة النوبة، 2012م.
- (5) مسح الأسلحة الصغيرة شرق السودان بعد اتفاقية سلام الشرق، المعهد العالي للدراسات الدولية والتنمية، جنيف، 2015م.
- (6) بهاء الدين مكاوي، النزاعات الأثنية في افريقيا الأسباب وتداعيات الحل، المركز العالمي للدراسات الأفريقية، أكتوبر 2007م.
- (7) ادم الزين، الطيب إبراهيم، رؤى حول النزاعات القبلية في السودان معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، 1998م.
- (8) Young John, the Eastern font and Struggle against margin alization, 2007
- (9) Pantuliano, Sara, Comprehensive Peace? An Analysis of the Evolving Tension in Eastern Sudan, Review of African Political Economy Sep. Taylor & Francis, Ltd, 2006
- (10) intenational crisis group, Sudan preserving peace in the east, Africa report, 2013